الصّبر مطيّة النّجاح

قصيدة في الحكم

لابن الظّهير الإربلي

(٦٧٧ هـ)

جمعها وفسّر ألفاظها

الشيخ عبد القادر المبارك

(١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م)

قدّم لها وضبط نصها

مازن المبارك

دار الفكر

دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي: ٠٨١٧,٠١٣
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-356-9
الرقم الموضوعي: ٨٤٠
الموضوع: الشعر
العنوان: الصبر مطية النجاح
التأليف: ابن الظهير الإربلي
جمـــع: الشيخ عبد القادر المبارك
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٦٤ ص
قياس الصفحة: ١٢×١٧ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية

فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ - ٢٢١١١٦٦
Http://www.fikr.com
e-mail: info@fikr.com

الاحتفالية بالألفية الثالثة
٢٠٠١

إعـــادة
١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م
ط١ / ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الصبر مطية النجاح

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على معلّم الناس الخير محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه .

هذه قصيدة نظمها محمد بن أحمد بن عمر ، مجد الدين ، بو عبد الله المعروف بابن الظهير الإربلي[1] . وهو عالم مرّاكشي الأصل ، إربلي المولد ، حنفي المذهب ، كان أديباً فاضلاً عالماً بالفقه واللغة والنحو . تلقّى العلم في إربل وبغداد ، ودرّس في دمشق ومصر . ألّف « تذكرة الأريب وتبصرة الأديب » ، و « مختصر أمثال الشريف الرضي » .

---

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات ١٧٤/٢ (٢١٩/٢ ط ١٢٨٣ هـ) ، والجواهر المضيّة ١٩/٢ و ٤٠١ ، وتاريخ ابن الفرات ١١٧/٧ و ١٣٧ ، والدارس للنعيمي ٥٧٤/١ ، وبغية الوعاة : ١٥ ، والأعلام . وبروكلمان ٢١٩/١ ، والملحق ٤٤٤/١

قال صاحب فوات الوفيات : « كان ذا رأي منتقى ، وه
من أعيان شيوخ الأدب وفحول المتأخرين في الشعر ، لـه ديوار
شعر في مجلّدين » .

تخرّج بـه عـدد من العلماء ، منهم عبـد القـاهر بن محمـ
أبو بكر التبريزي (ـ ٧٤٠ هـ) وسمع منـه قصيدتـه البـائيـة[٢]
ـ وهي هـذه القصيـدة ـ . ومنهم شهـاب الـدين محمـود بز
سلمان بن فهد أبو الثناء (ـ ٧٢٥ هـ) الـذي تـأدّب بـه ولازمـ
وسلك طريقه في الشعر والنثر ، وكان كاتب ديوان الإنشاء عنـ
السلطان قلاوون . ولم يكن بعـد القـاضي الفـاضل مثلـه ، ول
شعر كثير وتصانيف في الأدب والإنشاء[٣] .

وكانت ولادة ابن الظهير بـإربـل سنـة ٦٠٢ هـ ووفـاتـ
بدمشق سنة ٦٧٧ هـ .

---

(٢) الدرر الكامنة ٣٩٥/٢

(٣) انظر ترجمته في الـدرر الكامنـة ٣٢٤/٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٤/٩ ، وفوات الوفيات ٣٥٨/٢ ، والأعلام .

أما قصيدته البائية هذه فقد جمعها والدي الشيخ عبد القادر المبارك (المتوفى سنة ١٣٦٤ هـ و ١٩٤٥ م) من كتب متفرّقة ، وكان كلما وقف على قطعة منها سجلها على غلاف أحد كتبه ، ولمّا اكتملت عنده وضع لكل موضوع منها عنواناً يوضح فكرته ويدلّ عليه ثم شرح ألفاظها وفسّر بعض أبياتها ونشرها في مجلة الحقائق الدمشقية[٤] .

ورأيت أن أعيد نشرها لما فيها من حكم أخلاقية اجتماعية فقابلت النص المطبوع على الأصول الخطيّة وأشرت إلى مواطن الخلاف ثم ضبطت النص ، على أن في المطبوع أبيات قليلة لم ترد في مواضعها من المخطوط فأبقيتها كما جاءت في المطبوع .

---

(٤) الأجزاء ٦ ، ٧ ، ٨ من المجلد الثالث . ومجلة الحقائق مجلة أصدرها عبد القادر الكيلاني الاسكندراني (المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ - و١٩٤٣ م) في دمشق سنة (١٣٢٨ هـ - و١٩١٠ م) وصدر منها اثنا عشر جزءاً كان آخرها فيما أعلم في رجب من سنة ١٣٢٩ هـ الموافق لشهر حزيران من سنة ١٩١١ م .

أمد الحياة قصير

١ـ كلٌّ حيٍّ إلى الْمَماتِ مــآبُــه
ومَــدَى عمرِه سريــعٌ ذَهــابُــه

٢ـ معــه ســائــقٌ لــه وشهيــدٌ
وعلى الحرصِ ويحــه إكبــابــه

٣ـ يخرب الــدار وهي دار بقــاءٍ
وهو يبني مـا عن قريبٍ خرابـه

☆ ☆ ☆

---

(٢) قوله : معه سائق وشهيد ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وجَـاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١/٥٠] .

خَلقك من تراب

٤ـ عَجَبــاً وهـو في التراب عريــقٌ
كيف يُلهيــهِ طِيْبُــه ومَــلابــه

٥ـ كلَّ يومٍ يزدادُ نقصاً وإن عُمــ
ــمرَ حَلَّت أوصالَه أوصابه

٦ـ والورى في مراحل الدهرِ رَكْبٌ
دائمُ السَّيرِ ليس يُرجى إيــابــه

☆ ☆ ☆

---

(٤) عريق : ثابت العرق وهو الأصل . والْمَلاب من أنواع الطِّيْب .
(٥) الأوصال : المفاصل . والأوصاب : الأوجاع .

إنّ خير الزّاد التّقوى

٧ـ فتزوَّدْ إنَّ التُّقى خيرُ زادٍ
ونصيبُ اللبيبِ منــه لُبــابــ

٨ـ وأخـو العقـلِ مَن تَقضَّى بصـدقٍ
شَيْبُـه في صَلاحـهِ وشبـابـ

٩ـ وأَخو الجهلِ يستلـذُّ هوى النَّفـ
ـــسِ فيغدو لديه كالشَّهدِ صا

☆ ☆ ☆

---

(٧) اللُّباب كالمصاص وزناً ومعنى ، وهو الخالص من كل شيء .

(٩) الصاب : شجر مرّ ، وقال الجوهري : عصارة شجر مرّ ، وكـذلـ
هو في المحكم . والزَّبيدي في التاج وقال إنه وهم من الجوهري .

من انقاد للشهوة والهوى ضلّ

١٠ـ كم أضلّت مُنًى عقـــولاً وكم أو

جب نقصاً لفاضلٍ إعجابــه

١١ـ وأحال الهوى الحقائقَ حتّى

صار عذباً لذي الغرام عذابه

☆ ☆ ☆

نحن في دار العِبَر

١٢ـ أَجِلِ الفكرَ في الزمان وأهليـــــ

ـــهِ اعتباراً فالكونُ جَمٌّ عُجابه

☆ ☆ ☆

سرّ القضاء والقدَر بحر لا ساحل له

١٣ـ وتحـامَ الأقـدارَ نُطقـاً وفكراً
فهي في شاهقٍ تشقُّ عِقـابـ

١٤ـ وإذا مـا الجهـولُ أغرق فيهـا
أغرقتـه بـالسَّيـلِ منهـا شِعـابـ

☆ ☆ ☆

---

(١٣) تحامى الشيء : توقّاه واجتنبه . وتشق أي تجعل الإنسان في تعـ ومشقّة . والعقاب بالكسر جمع عقبة وهي ما يصعب الرقيّ فيه مـ الجبل .

(١٤) أغرق في الشيء : بالغ فيه . والشعاب جمع شعب بالكسر ، وهـ الطريق في الجبل .

الرأي بعد التَّروّي

١٥ـ ربَّ أمرٍ يُريبُ ذا العقلِ صعبٍ

بالتَّروِّي فيه يزول ارتيابه

١٦ـ لاتكنْ حاكماً بأوَّلِ رأيٍ

فكثيرٌ بين الأمورِ التّشابه

١٧ـ ربَّ كاسٍ من الجمال كما يؤ

ثر عارٍ من الجميل إهابه

١٨ـ وعزيزٍ مُمنَّع ضيمَ حتى

أصبحتْ كالوِهادِ ذلاًّ هضابه

---

(١٥) رابني الأمر وأرابني : ظهر لي بصورة منكرة توجب الارتياب . والرواية في المخطوط : بالتَّروّي يزول منه ارتيابه .

(١٧) الكاسي بمعنى المكتسي . ويؤثر أي ينقل ويروى . والإهاب : جلد الحيوان ويستعمل في الإنسان ، والمراد به هنا ذاته ونفسه .

١٩ـ ودنيءٍ عـلا بــه الْجَـــدُّ حتى
أوطئتْ هـامــةَ الثريَّــا ركابــه

☆ ☆ ☆

---

(١٩) الجدّ بالفتح له معـان كثيرة منهـا الحـظ والبخت وهو المراد هنـا .
والهـامـة تطلـق على الرأس وعلى الرئيس ، والمراد منهـا هنـا معنى الفوقية مطلقاً .

ربّ ساعٍ لقاعد

كم من أمر خالف مقتضى العقل القاصر وجرى على وفق القضاء والقدر

١ـ وسعيدٍ يحظى بكسبِ سواه
وشقيٌّ لغيرهِ أكسابه

٢ـ وغنيٍّ صلاحُه في غناه
وفقيرٍ إعطاؤه إعطابه

٣ـ وجوادٍ بمالهِ نال ذكراً
كان ذاك الذكرَ الجميلَ ثوابه

---

(٢) الأكساب بالفتح جمع كسب بمعنى المكسوب ، على أن المصدر يجوز جمعه إذا أريد به الأنواع والأفراد كالظنون والعلوم والأفهام والمقاصد .

٢٣ـ وكريمٍ مقتَّرِ الرزقِ من كفـ
ـفِ لئيمٍ أموالُـه أربـابـ

٢٤ـ وعـدوٌّ يُفيـدُكَ القُربُ منـه
وصديقٍ عينُ الصَّوابِ اجتناب

٢٥ـ وملـولٍ لحـاصرٍ مُتمنٍّ
لخيـالٍ من غـائبٍ ينتـابـ

٢٦ـ لا يغرَّنْـكَ قُربُ خـلٍّ ولا يُـو
ئِسْكَ من خُلَّة العدوِّ جِنـاب

---

(٢٣) يقول : قد يضيق الرزق على أهل الكمال ويبتلون بأخذه من اللئام عبيد المال .

(٢٤) يعني العدوّ العاقل والصديق الأحمق .

(٢٥) ينتابه : يأتيه نوبة بعد نوبة . يريد أن النفس تكره مالديها وتطلب الممتنع عليها .

(٢٦) أيأسه وآيسه حمله على اليأس والقنوط . والخلّة بالضم الصداقة . والجناب بالكسر المباعدة كالمجانبة . وهذا البيت مبني على الحديث الشريف : « أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك

٢ـ فلكم مُصحِبٍ عراه حِرانٌ
وحَرونٍ أتى لــه إصحــابــه
٢ـ وجهـولٍ مـع الرِّضــا وحليمٍ
ليس يثني إغضـاءه إغضـابــه
٢ـ ومقيمٍ في الســوق غيرِ حريصٍ
وإمــام ســوقٍ لــه محرابــه

يـومـاً مـا ، وأبغض بغيضـك هـونـاً مـا عسى أن يكـون حبيبـك يوماً ما » .

(٢) مصحب : اسم فـاعل من أصحب بمعنى دخل في الصحبـة أي انقـاد ضدّ الحرون . وأنى جاء وقته كآن .

(٢) يريـد بهـذا البيت أن الجـاهل قـد يطيش ويسفـه وهو في حـالـة لاتقتضي ذلك ، والحليم يبلغ به حلمه إلى درجـة عـاليـة من الصّبر والتّحمل حتى إنه ليظهر الرزانة هادئاً سـاكنـاً مطمئنـاً بتغـاضيـه وتغافله عمن تعرّض له بما يغيظه ويثير دواعي غضبه وحنقه .

(٢) يريـــد بهــذا البيت أن بعض التجـــار والمحترفين خير من بعض المتظاهرين بالصلاح من المعتكفين .

٣٠ـ ومحـل ثـوى بـه غيرُ بـانيـ
ـــهِ وعلمٍ أضـاعـه أربـابـ

٣١ـ وعريقٍ في الجهل مستحسَن اللَّحـ
ـــن وحَبْرٍ مُستهجَنٍ إعرابـــ

٣٢ـ موجزُ القولِ من أخي الفقر مملو
لٌ وذو الجِـدّ مـؤثَر إسهـابَـ

☆ ☆ ☆

---

(٣١) الْحَبر بالفتح العالِم .

لا تحتجب بالثوب عن لابسه

٣٣ـ لا تضعْ قدرَ ذي النباهـةِ إن قُــ
دِّرَ إعــارُه ورَثَّتْ ثيــابـه

٣٤ـ وتـأمـلْ فـالبـدرُ لا نقصَ يعرو
هُ إذا كان بـالسَّحـابِ احتجـابـه

٣٥ـ زَيْنُ ذي الفضلِ فضلُه وهو عارٍ
وأخــو النَّقصِ زَيْنُــه أثـوابـه

☆ ☆ ☆

لا يعادي الكريمَ إلاّ لئيم

٣٦ـ ومعــــــاداةُ كلِّ حرٍّ كريمٍ
دَيْــدَنُ الأخرقِ اللئيمِ ودابـه

☆ ☆ ☆

---

(٣٦) الدَّيْدن : العادة والدأب .

شبه الشيء منجذب إليه

٣٧ـ وإذا صادفَ الوضيعُ وضيعاً
ليس يُلفى إلاّ إليه انصباب

٣٨ـ ليس بِدْعاً فوزُ الأراذلِ بالما
لِ وفوتُ الغنى الكريم نصاب

٣٩ـ وبعيدٌ من التوسّع في الرز
قِ أديبٌ من رزقه آداب

٤٠ـ كن قنوعاً بما تيسَّرَ فالطا
معُ عبدٌ ما تنقضي آدابه

---

(٣٧) في المطبوع : ليس يُلقى .

(٣٨) البدع بالكسر الأمر العجيب . وفوت مصدر مضاف لفاعله ، والكريم مفعوله ، ونصابه مرفوع بالكريم على الفاعلية ، وهو كالنِّجار وزناً ومعنًى أي الكريم أصله .

٤١ـ وغنيـــــاً مهما غـــــدوتَ فقيراً
بـإلــهٍ طــاعــاتــه أبـوابــه
٤٢ـ وإذا كان خــوفُــه لــك دأبـــاً
لم تجـدْ في الوجـودِ شيئـاً تَهـابـه
٤٣ـ إنّ رزقــاً جميعُــه لــك مكتــو
بٌ من الْحُمْقِ بـالسَّفـاهِ طِلابه
٤٤ـ ولقـــد يُرزَقُ المقيمُ ويكـــدى
مَن سعى دهرَه وطـالَ اغترابــه
٤٥ـ ولكم قـــارف الـــدنيئـــةَ مُثرٍ
ووقى عرضَ مملـقٍ إجـــدابـــه
٤٦ـ إن أمراً لم يُمضِــهِ القَــدَرُ المــا
ضي لَتغـدوا عـوائقــاً أسبــابــه

☆ ☆ ☆

---

(٤٤) أكدى الرجل : أفلس وافتقر .

(٤٦) العوائق جمع عائقة من عاقه بمعنى منعه وأخّره وأوقفه .

طول الحياة يُتمٌ آخر

٤٧ـ إنَّ طـولَ الحيـاةِ داءٌ ومــا نفــ
ـــعُ حيــاةٍ لَمنْ قضتْ أترابـ

٤٨ـ وإذا المرءُ طــــال عمراً أذاقتـــ
ـــهُ المنـايـا بمـوتِهـا أصحـابـ

٤٩ـ وانتهى نَقصُه وعشَّش بازي الشـــ
شيبِ في رأســهِ وطــارَ غُرابـ

---

(٤٧) قضت أترابه أي انقرضت لدّاته ولم يبق أحد من أبناء جيله .

(٤٨) يريد كأن أصحابه أماتوه بموتهم وتركهم إيّاه وحيداً غريباً .

(٤٩) غراب الرأس كناية عن اسوداد الشعر ، وبازي الشيب كنايـة عن بياضه .

٥٠ـ وقُصَـــاراهُ أنْ يكــونَ سليبـــاً
لــذويــهِ مقسـومــةً أســلابــه

٥١ـ وإذا كان آخر الأمر هـــــــذا
فلمــاذا على الحيــاة اكتئــابــه

٥٢ـ أيهـــا السَّـــائرُ الْمُقيمُ على حر
صٍ مقيمٍ لاتستقــلُّ ركابـــــه

٥٣ـ إنَّ حبلَ الآمالِ والحرصِ كالأعـــ
ـــمارِ طولاً فبالفَنـاءِ انقضـابـه

---

(٥٠) قصـاراه بـالضم مقصوراً نهـايتـه وغـايتـه . والسَّليب : المسلوب .
والأسلاب جمع سَلَب بفتحتين بمعنى الشيء المأخوذ استلاباً .

(٥٢) لاتستقلّ : لاتذهب ولا ترتحل ، وهذه الجملـة صفـة للحرص ، أي
حرص دائم ملازم لا ينفك عنه سار أو أقام .

(٥٣) الانقضاب : الانقطاع .

٥٤ـ يالَغاوٍ قد أوبق النفس لم يكـــ
ـــثر عليها عويله وانتحابـ

٥٥ـ آمناً موقفَ الحساب ولا أحســـ
ـــابه جُنّة ولا أنسابـ

٥٦ـ ومليـــك أمـــدَّ في العُمرِ والرز
قِ ومُدَّتْ من ملكه أطنابـ

٥٧ـ يوسِعُ الْخَطوَ في الخطايا وإن ضا
ق عليه ضاقتْ عليه رحابـ

☆ ☆ ☆

---

(٥٥) الْجُنَّة بالضّم : الوقاية .

(٥٦) الأطناب : الحبال التي تشدّ بها الخيمة ، والمراد بها هنا أسباب استقرار الملك .

(٥٧) الرّحاب بالكسر جمع رحبة بالفتح وهي السّاحة المتسعة والبقعة المنبسطة .

أنلهو والمصير هائل

٥٨ـ هــــل لبيبٌ لاهٍ على ظهر أرضٍ
وطـويــلٌ في بطنهــا إلْبــابــه

٥٩ـ وغريـقٌ مَن لم يــوفَّــق لإقــلا
عٍ وبحرُ الـذُّنـوبِ طـامٍ عُبـابــه

٦٠ـ لِمَ لا يفتــــــــــدي بقلبٍ سليمٍ
مَن إلى مـوقفٍ يَهـولُ انقـلابــه

---

(٥٨) اللبيب : العاقل ، من لبّ الرجل لبـابـة . والإلبـاب مصـدر ألبّ بالمكان إذا مكث أي أقام فيه .

(٥٩) الإقلاع مصدر أقلع عن الأمر إذا تركه وكفّ عنه . وطـام من طما الماء بمعنى طغى وعلا زاخراً من كثرته ، وهو يائي واوي فيقـال : طما يطمو وطمى يطمي . والعباب بالضم موج البحر .

(٦٠) يغتدي أي يذهب غدوة من أول النهار كيغـدو ، هـذا أصل المعنى ثم استعمل غـدا واغتـدى بمعنى اتصـاف اسمها بخبرهمـا كما في أصبح وبات وأضحى .

٦١ـ لِمَ لا تجـــزعُ النفـــوسُ لأمرٍ
فوق طورِ العقولِ والمـوتُ بـاب
٦٢ـ كلُّ نفسٍ منهـــا رهينـــةُ رَمْسٍ
بيـــدِ الْمُشفقينَ يُحثى ترابـــ
٦٣ـ وبـــأمر تخلـو بـــه كل دارٍ
من ذويها يخلو من الليث غـاب



(٦١) طور العقول : حالها وقدْرها وحدّها ، ومن هـذا قولهم : تعدّى طوره .

(٦٢) الرهينـة : المرهونـة أي المحبوسـة ، وإضـافتهـا للرمس من قبيـل إضـافـة (مكر الليـل) . والرَّمْس مصـدر رَمَس بمعنى دفن وتستعمل بمعنى تراب القبر ، والقبر نفسـه أيضـاً وهـو المراد هنـا ويحثى أي يـؤخـذ ثم يرمى ويقبض عليـه ثم يطرح ، وهـو واوي يائي فيقال : حثى يحثي وحثا يحثو .

لسان الحال منادٍ بالتّرحال

٦٤ـ يــا مطيــلاً آمــالَ عمرٍ قصيرٍ
وخطيبُ الرَّدى فصيحٌ خطابه

٦٥ـ معرب مغرب وليس بمجـــد
فيــه إعرابــه ولا إغرابــه

٦٦ـ أنت ضيف في الأهل فارتقب الرحـ
ـــلة فالصيف لا يدوم سحابه

☆ ☆ ☆

---

(٦٤) الرَّدى : الهلاك .

(٦٥) ليس بمجد أي ليس بنافع ولا مفيد ، من قولهم : ماأجدى هذا شيئاً أي ماأغنى .
يريد أن لسان الحال قد أتى بالعجائب والغرائب في بيانه وإيضاحه أن الموت والارتهان بالعمل قريب جداً ومع ذلك فإن خطابه لم ينجع في نفوس المغرورين اللاهين .

(٦٦) يريد أن مدّة الضيف كسحابة الصيف لاتلبث أن تتصرّم وتنقضي .

اليوم عمل وغداً جزاء

٦٧ـ نحن في دار قُلعــــة فــــاز من كا

ن لـدار المقـام منهـا اكتسـابـ

☆ ☆ ☆

العاقل لا تستخفّه الزخارف

٦٨ـ دار حزن مريض عقـل فتى عـا

دتــــه فيهــــا مسرّة إطرابـــ

☆ ☆ ☆

---

(٦٧) دار القلعـة بضم القـاف وسكون اللام هي التي لا بـدّ أن ينقلـع أ
ينتزع منها ساكنها ، ومنـه قولهم : الـدنيـا دار قلعـة والآخرة د
المقام ودار المستقر أي الإقامة والقرار .

(٦٨) الإطراب جمع طرب وهو خفّـة تلحق الإنسـان من فرح أو حزن
وتخصيصة بالفرح وهم كما في القاموس . والمراد هنا خفـة الحزن أ
من اشتد سروره حتى عاداه حزنه فهو خفيف العقل ضعيفه .

الأمور بخواتيمها

٦ـ لاتضيقَنْ ذرعاً بعاجل مكرو
ه توافي حميدة أعقابه

٧ـ وإذا ماعلمت عاقبة الصبـ
ـر عليه هانت عليك صعابه

☆ ☆ ☆

---

(٦) ذرع الإنسان : طاقته ، وضاق به ذرعاً : عجز عن احتماله . أعقاب الأمر : أعجازه وأواخره ، واحده عقب بالضم ، وهو العاقبة أي الغاية .

الصّبر مطيّة النجاح

٧١ـ ولكم قرّب البعيـد لـك الصَّبـ

ـر وكم بعَّـد القريب ارتغـاب

☆ ☆ ☆

---

(٧١) ارتغاب الأمر : شدّة الرغبـة فيـه وفرط الحرص عليـه . يريـد أ
الصبر يجعل البعيد قريبـاً لأنـه يصرف النفس عن الاهتمام بتوقعـ
ويريحها من التَّقلّب متململة على جمر انتظاره ، كما أن شدّة التَّهالـ
على حصوله تجعل النفس قلقة منزعجة مـدة ترقبـه . وفي النسخـ
الأصليـة (ارتقـابـه) أي انتظـاره وتطلـع النفس مستشرفـة عـ
حصوله مع الجزع لفقده .

إذا جدّ الأمر فأقدم

٧ـ وإذا لم يكن من الأمر بـــــدّ
فـارتكبـه ولا يرعـك ارتكابــه

☆ ☆ ☆

تعس الجبان

٧ـ يَكسِب الـذلَّـةَ الجبـانُ ولا يـــد
فـع عنـه الْمُقــدَّرَ استصعــابــه

☆ ☆ ☆

---

٧) لا يرعك : بمعنى لا يفزعك . ويقال في مثل هذا المقام : لا يهولنك الخطب . وارتكاب الأمر : فعلـه مـع الإقـدام على مـا فيـه من الأخطار .

٧) يكسب بفتح الياء وكسر السين بمعنى يكتسب . يقول : وجـدانـه الأمر صعباً لا يرد عنـه مـاهو لاقيـه منـه لا محـالـة . ولعل الأصل (ولا يدفع عنه مقدراً إصحابـه) من أصحب بـالبنـاء للفـاعل إذا انقاد وخضع فالمعنى عليه ظاهر بيّن .

العجلة في موطن التأني مهلكة

٧٤ـ يفرج الضيق بـالتّلطف في الأمــ
ـــر ويودي بالعمر فيه اضطرابا

٧٥ـ أوما الماء وهو في بـاطن الصخــ
ــرة باللطف رشحه وانسيابـ

٧٦ـ وإذا مـا أحسَّ بـالشّرك الصَّيــ
ــد دهـاه نفـوره وانجـذابــ

☆ ☆ ☆

---

(٧٤) يفرج : يوسع . والضيق بالفتح ضدّ الواسع . ويودي بـالغمر أي يهلكـه ويرديـه . والغمر بضم فسكون هو الجـاهل الـذي لم يجرّب الأمور . واضطرابه : تحركه على غير انتظام .

(٧٦) الشرك بـالتحريـك أي بفتحتين على أنـه مفرد أو بضمتين على أنـه جمع : حبائل الصيد وما ينصب للطير . ودهاه : رماه بـداهيـة . وانجذابه : انسحابه .

من استبدّ برأيه زلّ

٧٧ـ ومن الحزم أن تشاور في الأمـــ
ـــر فكم فات ذا صواب صوابـه

☆ ☆ ☆

---

(٧٧) الحزم في الأمور : ضبطها وإتقانها والاحتياط في شأنها . وفاته الشيء : بمعنى غاب عنه ، والفوت في الأصل كالسَّبق وزناً ومعنى .

قد يكبو الجواد وربّ رمية من غير رام

٧٨ـ ولقـد يخرق اللبيب وقـد يحسـ
ـنُ م الأخرقِ الْجَهولِ منـابـه

٧٩ـ وينـال الضعيف بـالعجـز أمراً
يئست من حصولـه خطـابـه

---

(٧٨) خرق الرجـل في الأمر بكسر الراء : عملـه فلم يتقنـه ولا أحكمـه ، ويكون بمعنى دهش وفـزع . وخرق بـالضم : كحمـق وزنـاً ومعنى أي طاش وقلّ عقلـه ، وخرق بـالشيء : جهلـه ، والفـاعل أخرق وخرقاء . وم الأخرق : بمعنى من الأخرق ، ومنابه : مصـدر ميمي من نـاب عن غيره في الأمر أي قـام مقـامـه فيـه . والروايـة في الأصل : من أخرقٍ جهولٍ مثابه .

(٧٩) خطابه أي طلاب الوصول إليه والراغبون في الحصول عليـه ، وهو جمع خـاطب من خطب كطلب وزنـاً ومعنى ، ومنـه قـولهم : خطب ودّه فحظي عنده . وفي هذا المعنى يقول المتنبي :

إن المقـادير إذا سـاعـدت ... ألحقت العـاجـز بـالحـازم

٨ـ وعسى أن يجر يوماً إليك السـ
ـرّ مع من طال للعناد انتصابه

☆ ☆ ☆

(٨٠) انتصب للأمر بمعنى انتدب وتصدّى له . يريد بهذا البيت أنه قد يفيدك وينفعك من تعوّد الإيذاء والإضرار .

شدّة القرب حجاب

٨١ـ ولقـــد يحسن المجـــاور صنعـــاً

وهو يؤذي من زاد منـه اقترابـ

٨٢ـ أو ما النّصل كافل لك بـالنّصــ

ــــر شقيّ بـالحـدِّ منــه قرابـ

---

(٨١) يريــد أن بعض النـــاس يسيء إلى القريب المجـــاور ويحسن إلى الغريب الأجنبي ، أي لاتيأس منه ولو كنت أجنبياً عنه .

(٨٢) النّصل : حديدة السَّيف . والقراب بالكسر : غمـده أي إن السيف يفيد حامله ويكون ناصره وحاميه مع أنـه أجنبي عنـه وليس من نوعه ويسيء إلى الغمد بالتأثير فيه بحدّه كلما أغمـد أو جرّد مع أنـه جاره .

٨٣ـ خلق الشرّ في الطِّباع ولولا
غبَّة عزّ في الورى إغبابه

☆ ☆ ☆

(٨٣) غِبٌّ الشيء بالكسر : عاقبته . وإغبابه مصدر أغبّ الشيء بمعنى وجد في وقت وفقد في وقت آخر . (لعل في البيت تحريفاً خفي معه معناه) .

الإنسان المتوحش أضرّ من الوحوش

٨٤ـ ومن النـاس عـاذ بـالشُّمِّ والشَّمـ
ـخ حـزمـاً نسرُ الْمَـلا وعُقـابـ

٨٥ـ ومن النـاس فرّ يرضى بـأوشـا
لِ ميـاهٍ من القطـا أسرابـ

٨٦ـ ومن الناس مشبـه الوحش لا ير
ضيـه إلاّ عـدوانـه واغتصـابـ

☆ ☆ ☆

---

(٨٤) عاذ : تحصّن ولاذ والتجأ واحتمى . والشّم جمع أشمّ . والشَّمخ : جمع شامخ . وكلاهما بمعنى الجبال الشاهقة . والنسر بـالفتح والعقـاب بـالضم : من جـوارح الطير . والملا بفتـح الميم مقصـوراً : بمعنى الصحراء .

(٨٥) أوشال المياه : قطراتها القليلة جمع وشل بفتحتين .

ماأشدّ التفاوت بين بني آدم

٨٧ـ ومن الناس عـاقر الضيف كالكلـ

ــــب ومنهم من لاتهرّ كـلابــه

☆ ☆ ☆

(٨٧) تهرّ بفتح فكسر : بمعنى تصوّت تصويتاً أقلّ من النباح . ويقولون على سبيل الكناية : فلان لاتهرّ كلابه بمعنى أنـه كريم مفضـال كما يقولون له أيضاً كثير الرّماد .

الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا(☆)

٨٨ـ حَكَمٌ قــدَّر التَّبـــاينَ عـــدلاً
عمَّ معروفُــه وجَــلَّ جَنـــابــ

☆ ☆ ☆

(☆) قال ابن الأثير: وفي الحديث: لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فإذ
تساووا هلكوا، والمراد التساوي في الجهل والدناءة.

(٨٨) الحكم بمعنى الحاكم والمقصود به هو الله سبحانه وتعالى. وقدّ
الأشياء جعل لها مقداراً معيّناً خصصها به. والتباين: التفاوت
وهو في الأصل بمعنى التباعد لأنه تفاعل من بان إذا بعد. والجناب
بالفتح: فناء المنزل، ويطلق على المنزل نفسه، وقولهم: فلار
رحيب الجناب وخصيب الجناب كناية عن الكرم فمعنى جل
جنابه عظم كرمه.

إن الغواة من إخوان الشياطين

٨٩ـ فـاستعـذْ بـالإلــه من شرِّ غــاوٍ
في حبال الشيطانِ طالَ احتطابه

٩٠ـ لم يزعـه الإرهـاب شرعـاً ولا ألـ
بســه ثـوبَ طـاعـةٍ إرغـابــه

☆ ☆ ☆

(٨٩) الغاوي : الضالّ المنهمك في الجهل . والاحتطاب : جمع الحطب . والمراد بـه سلوك طرق الضـلال . يقـال : فـلان يحطب في حبلـه ويميل إلى ميله ، كناية عن نصره وإعانته .

(٩٠) لم يزعه أي لم يردعه ولم يكففه ، من وزعه ، ومنـه قولهم : الشيب وازع ، وقول الشاعر :

إذا لم أزع نفسي عن الجهــــل والصّبَى
لينفعهــا علمي فقـــد ضرّهـــا جهلي

والإرهاب : الإزعاج بإخـافـة كالترهيب . والإرغـاب في الشيء : الحمل على إرادته كالترغيب .

الجهل غربة والعلم وطن

٩١ـ توحش الجاهلَ الإقامةُ في الأهـــ

ــــل ولا يوحشُ اللبيبَ اغترابُ

☆ ☆ ☆

---

(٩١) توحشه : أي تجعل الأنس بعيداً عنه .

الحرّ تكفيه الإشارة

٩٢ـ والحكيمُ الرَّشيدُ يُخجله العَتْـــ
ــــبُ ولا يُخجلُ اللئيمَ سِبابه

☆ ☆ ☆

---

(٩٢) العتب مصدر عتب عليه كنصر وضرب ، بمعنى لامه ساخطاً عليه ، ومنه قول الشاعر :

أقول وقد فاضت بعيني عَبرة
أرى الدهر يبقى والأخلاّء تذهب
أخلاّي لو غير الْحِمام أصابكم
عتبت ولكن ما على الموت معتب

والسِّباب : المشاتمة ، ومنه قولهم : السِّباب مزاح النوكى أي الحمقى .

الحظ يجعل العدوّ صديقاً

٩٣ـ وبجَـــــدٌّ الفتى يعـــود ولاءً

ووداداً من العـــدوّ ضِبــابـــ

☆ ☆ ☆

---

(٩٣) الْجَدّ كالحظّ وزناً ومعنى ، وفي المثل : جدّك يرعى نعمك
والولاء بالفتح المحبة والنصرة . والضباب جمع ضبّ وهو الحقد
والضغن ، قال الشاعر :

ولا تك ذا وجهين يبدي بشاشة وفي صدره ضبّ من الغلّ كامن

ليس للمشؤوم صديق

٩٤ـ وإذا ولَّت السعــادة خــانتــ

ــه وصـارت أعـداءه أحبـابـه

☆ ☆ ☆

---

٩٤) السعادة ضدّ الشقاوة ، والسّعد ضـدّ النّحس . وولّى عنـه : ذهب وزال وأعرض عنـه وتركـه كتولّى . وفي معنى البيت الأول يقـول الشاعر :

عش بِجَــدٍّ ولن يضرَّك نــوك ... إنمـا عيش من ترى بـالجــدود

وفي المثـل : اسـع بجـدّك لابكـدّك . ويقـول الإمــام الشــافعي رضي الله عنه :

الْجِـدّ يُــدني كلَّ أمر شــاسـع ... والْجَـدّ يفتح كل بـاب مغلَـق

إذا حاق القضاء ضاق الفضاء

٩٥ـ وإذا ما القضاء عانـد عبدا
حاربته سيوفه وحرابه

٩٦ـ وغدا شمله شتيتاً وأحزا
باً لضدّه أحزابه

☆ ☆ ☆

(٩٥) القضاء : إيجاد الله تعالى الكائنات محكمة متقنة . وعانده : عارضه مخالفاً له . والحراب : جمع حربة وهي من السلاح ذات نصل عريض ، ومنه : أخذوا الحراب للحراب ، أي للمحاربة .

(٩٦) الشتيت : المشتّت أي المفرّق . وفي هذا المعنى يقول الآخر :

إذا لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يجني عليه اجتهاده

من خاف من شيء سُلِّط عَليه

٩١ـ يعجــل المتقي ويبقى مليـــاً
من تــوالى طعــانــه وضرابــه

☆ ☆ ☆

---

٩١) يعجل أي يحمل على السرعـة مـدفـوعـاً إلى الهـلاك ، والمتّقي هنـا بمعنى الجبان الـذي يحرص على أن يجعل بينـه وبين الهلاك وقـايـة تحفظه . قال الشاعر :

لعمرك مــا يــدري الفتى كيف يتّقي
إذا هــو لم يجعــل لـــه الله واقيـــا

ومليّاً : أي طويلاً . وتوالى : تتابع . والطعان والضراب مصدران كالمطاعنة والمضاربة .

ربَّ حسن لا يتجاوز الظاهر

٩٨ـ لا تغـرنـك الـوجـوه فمـا كلـ

ـــل سحاب يروق يرجى ذِهابه

☆ ☆ ☆

---

(٩٨) الذهاب بالكسر الأمطار ، مفردها ذهبة بكسر فسكون . وفي هذا المعنى قول الشاعر :

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً لـه　　إذا لم يكن في فعلـه والخلائـق

وقول الآخر :

ولا تجعل الحسنَ الدليلَ على الفتى　　فما كل مصقول الحـديـد يمـاني

عتب الملول عبث

٩٩ـ وتجنَّبْ عتب الملــول فمــا يجــ
ــــلب إعتـابـه إليـك عتــابــه

☆ ☆ ☆

---

(٩٩) الملـول بمعنى المتقلّب المتلـوّن الـذي لاثبـات لـه . ويجلبــه كينصر ويضرب أي يأتي به ويحضره . وإعتـاب الرجل : إرضـاؤه إرضـاء يزيل عتـابـه ، وفي المثـل : مـامسيء من أعتب . وفي الحـديث : عاتبوا الخيل فإنها تعتب ، أي أدّبوها فإنها تقبل التأديب .

الدِّين النَّصيحة

١٠٠ـ واحْبُ نُصحاً من استشار فما أنـ
ـكر في شرع ملّــةٍ إيجــابــ

١٠١ـ وإذا قابـل النصيحـةَ بـالغشــ
ـــش فدعْه فما عليك حسـاب

☆ ☆ ☆

(١٠٠) حباه النّصح : أخلصه له ومنحه إيَّاه وجاد عليه به . وفي الأصل : وأجب ناصحاً ، ولا يستقيم به الوزن .

اللسان سلاح العاجز

١٠١ـ وإذا اغتـــابــــك اللئيمُ فشكراً
حيث أضحى جهدَ اللئيم اغتيابـه

☆ ☆ ☆

ماأجيب السَّفيه بمثل الإعراض

١٠٢ـ وإذا ســاءك السَّفيــهُ بمــا شــا
ء فتركُ الجـوابِ عنــه جـوابــه

☆ ☆ ☆

---

١٠٢) جهده أي غاية ما يقدر عليه إذا بذل وسعه وطاقته فيه .

لكل شيء نهاية

١٠٤ـ وإذا الخطبُ ناب فاصبرْ فقد تُفـــ

ــــرج غَمَّـــاؤه ويُكهَمُ نـــابــــ

☆ ☆ ☆

---

(١٠٤) نابه الخطب أي أصابه البلاء . والغمّاء بـالفتح والمـدّ : البليّـة التي تغم ولا يعرف وجـه الخـلاص منهـا ، وفرَجهـا : كشفهـا . قـال الشاعر :

ولا يكشف الغمّـاء إلاّ ابن حرّة　　　يرى غمرات الموت ثم يزورهـ

ويكهم نابه من أكهم إكهاماً إذا كلَّ وذهبت حـدّتـه ، والمعنى هنـ زالت شدّته .

القدرة على الإحسان من فرص الزمان

١٠٥ـ وافعلِ الخيرَ ما استطعت فقد تعـــ
ـــجز عن فعلـه ويُغلَـقُ بـابـه

☆ ☆ ☆

كل نفس بما كسبت رهينة

١٠٦ـ واخشَيَنْ كاتبَ الشِّمال فيـا خســـ
ـــرَ امرئٍ في الشمال منه كتابه

☆ ☆ ☆

الظهور يقصم الظهور

١٠٧ـ واغتنمْ لـــذَّةَ الخمــول اختيــاراً
فهنيءٌ طعــامــه وشرابــــا

☆ ☆ ☆

---

(١٠٧) الخمول يكون بمعنى السفاهة والنذالة والسقوط وعدم النباهة ؛ والمراد به هنا عدم الشهرة بين الناس ، وإنما يمدح الخمول بهذا المعنى لأن للظهور والشهرة واجبات وحقوقاً قلّ من يقوم به ومتاعب ومشاق يعسر تحملها . وهنيء أي سائغ طيِّب .

اليأس إحدى الراحتين

١٠٨ـ واجعلِ اليـأسَ للمطـامـع شربـاً
فكفيــــلٌ بريِّهنَّ سرابــــــه

☆ ☆ ☆

---

(١٠٨) الرِّيّ مصــدر روي بمعنى شرب مــا يكفيــه كارتــوى . والسّراب ما يظهر وقت الحرّ الشديد في الصحراء مترقرقاً يتموج على وجهها كأنه ماء . يريد بهذا البيت أن طمع الطامع لا ينقطع إلاّ باليـأس والقنـوط وكفّ النفس عن التمادي في الطمـع ، ومن هـذا القبيـل قول الشاعر :

والنفس راغبــة إذا رغبّتهــا وإذا تُردّ إلى قليــل تقنــع

السّلامة في العزلة

١٠٩ـ عش وحيداً ولو دعاك إلى صحـــ
ـــبته مخلصُ الدعاءِ مُجابه

١١٠ـ وانظرِ الجمرَ وهو يُطفأ بالمـا
ءِ تَجدْه به يَزيد التهابه

☆ ☆ ☆

(١١٠) يطفأ بالفتح من طفئ بمعنى خمد ، أو بالضمّ مبنياً للمجهول من الإطفاء . يريد أن الاجتماع بالعباد والعلماء العارفين بالله للانتفاع بهم قد يؤدي إلى الاعتماد عليهم مع الغفلة عن الله كما أن الماء قد يزيدُ النار اشتعالاً وكلاهما عكس المطلوب .

كن عبداً لله فقط

١١ـ وانتسبْ طـائعـاً إلى بـاب مـولا
كَ فما خـاب مَن إليـه انتسـابـه

☆ ☆ ☆

الناس ذئاب في ثياب

١١ـ كيف ترجو الوفاءَ من أهلِ دهرٍ
قـد تســاوت أبنــاؤه وذئــابـه

١١ـ طال فيه العـدولُ عن سَنَن القَصْـــ
ــــد وطـالت رؤوسَـه أذنـابـه

☆ ☆ ☆

---

١١٢) سنن القصد : طريق الاعتدال . وطال الأولى بمعنى امتدّ ، والثانية بمعنى فاقت في الطول .

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن

١١٤ـ كم قرتْ نـائبـاتُـه الهمَّ قلبـاً
وفَرتْ هـامَ أهلِـه أنيـابـ

١١٥ـ وأبـاحتْ مُلكاً مَنيعـاً حِماه
وأذلَّتْ ملكاً عـزيـزاً جَنـابـ

١١٦ـ وأعارتْ حسنَ الثنـاء أخـا قبـ
ـحٍ مِلاءً من العيـوب عيـابـ

---

(١١٤) قرت من القِرى بمعنى الضيـافـة . وفرت من فراه بمعنى قطعـ
ومزّقه . والهام : الرؤوس .

(١١٦) ملاء جمع ملأى بمعنى ممتلئـة . والعِيـاب جمع عَيْبـة بـالفتح ، وهـ
وعاء من جلد يوضع في المتـاع ، ويكنى بهـا عن موضع السرّ وعـ
الصدور والقلوب ، ومنه قول الشاعر :

وكادت عياب الودّ منا ومنكمو   وإن قيل أبناء العمومـة تصـ
أي تخلو .

١١٧ـ وأعـــــادت سعـــوده لاثمَ التُّر
بِ مَهيبــاً مَلثــومَــةً أعتــابــه

☆ ☆ ☆

---

(١١٧) السعود ضـدّ النحوس . والمهيب بفتح فكسر الـذي يعظم ويخـاف منــه . والأعتــاب جمـع عتب بفتحتين وهــذه جمـع عتبــة وهي كالدرجـة وزنـاً ومعنى . وعتبـة بـاب البيت مـا يوطـأ عليـه عنـد دخـولـه وهــذا هـو المراد هنــا . وفي الأصـل كتب (تلثم) تحت (لاثم) .

الدهر بالناس قلّب(☆)

١١٨ـ هــذه سُنَّــة الـزمــانِ قــديمــاً
وعلى مِثْلهــا مضتْ أحقــابــ

☆ ☆ ☆

(☆) قلّب : أي كثير التقلّب كما يقال حوّل من التحوّل.

(١١٨) الأحقاب : الدهور ، واحدها حقب بالضم . وفي التنزيل المجيد ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ [النبأ : ٢٣/٧٨] .

لاكبيرة مع الاستغفار

١١٩ـ ياأسيرَ الذّنوب تُبْ عائـذاً منـــ
ـــها بغفّارها الْمَخوفِ عِقابه

١٢٠ـ فقرينُ التــوفيــق مَن دأبُــه في
كلِّ ما ســاءَ صبرُه واحتسـابـه

---

(١١٩) العائذ كاللائـذ وزنـاً ومعنى ، من عـاذ بـه أي التجـأ إليـه واحتمى بحماه ، وفي الأصل : ياأسير الذنوب بت عائذاً .

(١٢٠) الاحتساب مصدر احتسب عمله عند الله بمعنى اعتقـد الثواب عليـه محسوباً ومدَّخراً له عنده وفعلـه ابتغـاء ذلـك . والْحِسْبـة بـالكسر تأتي بهـذا المعنى أيضـاً ، ومنـه قول الفـاروق رضي الله عنـه : أيهـا الناس احتسبوا أعمالكم فـإن من احتسب عملـه كتب لـه أجر عمله وأجر حِسْبته .

١٢١ـ وخليقٌ بعاجل الفوز مَن كا
ن إلى الخالقِ الكريمِ مَتابه

☆ ☆ ☆

---

(١٢١) خليق أي جدير وحقيق . والمتاب بالفتح مصدر ميمي بمعنى التوبة أي الرجوع بالإقلاع عما لا يليق مع الندم على فعله والعزم على عدم إعادته ، وإنما كانت تعديتها بواسطة إلى لما فيها من معنى العود والرجوع إلى الله بطلب العفو والمغفرة . وفي التنزيل المجيد : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور : ٢٤/٣١] .

الفهرس

☆ ☆ ☆